# محاضرة رقم: 06 ظروف النّزول: (المكي والمدني)

## أوّلا : اصطلاحات العلماء في تعريف المكي والمدني:

01- الأوّل باعتبار الزّمان(حدث الهجرة): وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل هجرته صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة وإن كان نزوله بغير مكة والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة وإن كان نزوله بمكة . وعليه فآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة 03، مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع، وكذلك آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ سورة النساء 58 ، فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم.

02- الثّاني باعتبار المكان : أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة، وعليه يدخل في مكة ضواحيها كالمنزل على النبي بمنى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها أيضا كالمنزل عليه في بدر وأحد.

03- الثّالث باعتبار الخطاب :أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة

وعليه يحمل قول من قال إن ما صدر في القرآن بلفظ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فهو مكي وما صدر فيه بلفظ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو مدني لأن الكفر كان غالبا على أهل مكة فخوطبوا بيا أيها الناس وإن كان غيرهم داخلا فيهم، ولأن الإيمان كان غالبا على أهل المدينة فخوطبوا بيا أيها الذين آمنوا وإن كان غيرهم داخلا فيهم أيضا وألحق بعضهم صيغة ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ بصيغة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ .

## ثانيا طرق معرفة المكي والمدني:

صبّت جهود الصّحابة الرّضوان على تلقي القرآن مرتبا على نحو ما يرتبه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تشر الرّوايات إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان يحدد لهم مواضع الآيات من السور وقت التنزيل وعند كتابتها في الرقاع.، ولكن بقي في ذاكرتهم ما لاحظوه من مكان وزمان نزول كثير من الآيات والسور، ونقل ذلك عنهم تلامذتهم من التابعين، يقول القاضي أبو بكر: "إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ولم يرد عن النبي في ذلك قول لأنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول"[1]

ولاحظ العلماء أن معرفة المكي والمدني من سور القرآن يمكن أن يكون من طريقين نجّيها كما يلي:

01- **الطريق السّماعي**[2]: وذلك بالرواية الصحيحة عن الصحابة المعاشرين للتنزيل ، أو التابعين الذين تلقوا عن عنهم وسمعوا منهم. وكان عدد من الصحابة قد أبدوا اهتماما بهذا الجانب من تأريخ القرآن، على نحو ما نقل ابن سعد عن عبد الله بن عباس أنه قال: «كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل من القرآن في ذلك. وكنت لا آتي أحدا منهم إلا سرّ بإتياني لقربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجعلت أسأل أبيّ بن كعب يوما، وكان من الراسخين في العلم، عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة، وسائرها بمكة» .

02- **الطّريق القياسي الاجتهادي**[3]: يستند ذلك إلى الضّوابط التي استخلصها العلماء من الروايات المنقولة عن عدد من الصحابة والتابعين في بيان خصائص السور المكية والسور المدنية، فإذا وجدت ضوابط المكي في آية أو في سورة قالوا أنها مكية، وإذا وجدت ضوابط

---

[1] نقلا عن السّيوطي في الاتقان، ج1،ص:38

[2] على السّماع: (أى الرواية والنقل) وهذا هو أصل علوم الحديث، وعلوم القرآن التى تفرعت عنهما سائر العلوم.

[3] على القياس (أى الاستقراء العقلى) والنظر فى الأدلة، والاجتهاد فى استخراج كنوز المعرفة.

المدني في سورة حكموا بمدنيتها ، ومن تلك الروايات:ما روي عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ أَنَّهُ قَالَ: « كُلُّ شَيْءٍ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم من الْقُرْآنِ، فِيهِ ذِكْرُ الْأُمَمِ وَالْقُرُونِ، وَمَا يُثَبِّتُ بِهِ الرَّسُولَ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِمَكَّةَ، وَمَا كَانَ مِنَ الْفَرَائِضِ والسنن نزل بالمدينة»[4].

## ثالثا: ميزات المكّي والمدنى

**أ- المكيّ:**

1- **أسلوبه: يعتمد على** الشّدة في الخطاب مع الإيجاز في العرض، **وقصر الفاصلة، وجزالة اللّفظ، وقوة الجرس الذى يهتف في القلوب.**وقوة المحاجة تهذيبا للنفس عن هوى الإعراض والعناد وتخليتها عن عوالق الشّرك ،ليحل بالقلب الإيمان

2- **موضوعه:** تقرير الكلّيات ( غياب التفريع زمن التّشريع)- مجادلة أهل الكفر وسوق الأدلة والبراهين، وضرب المثل، وغيرها.

**ب- المدنيّ:**

**1- أسلوبه:** الإسهاب والإطناب واللّيونة في الخطاب، وسلاسة الجرس، ومخاطبة العقل.

**2- موضوعه:** تفريع الجزئيات (باب المعاملات، وأحوال شخصية، وعلاقات دولية سلّما أو حربا، أو عهودا ومواثيق) - كشف حقائق النّفاق والمنافقين، وغيرها.

[4] دلائل النبوة للبيهقي، ج7،ص: 144.

## رابعا: مراتب النّظر في المكي والمدني :

من المعلوم أن من خصائص الشريعة الإسلامية أنها جاءت متدرجة في تشريع الأحكام. ثم إن سور القرآن الكريم وآياته تابعة في النزول لمراحل تدرج الشريعة في تكوينها، فكل مرحلة من هذه المراحل تقتضي صنفا معينا من بلاغ القرآن. وكل مرحلة من هذه المراحل تعدّ أصلا وأسّا للمرحلة التالية التي تنبني عليها، وعلى هذا المنوال كانت سور القرآن في التنزيل، حيث ينبني فهم لاحقها على فهم سابقها..

وفي بيان ذلك يقول الشاطبي:" المدني من السّور ينبغي أن يكون منزلا في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل، وإلا لم يصح، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه، دل على ذلك الاستقراء، وذلك إنما يكون ببيان مجمل، أو تخصيص عموم، أو تقييد مطلق، أو تفصيل ما لم يفصل، أو تكميل ما لم يظهر تكميله... وكذلك نرى هذا المعنى متقررا بين كل سورة من المكي والمدني، والترتيب بين السور والآيات يشير إلى ابتناء اللاحق على السابق، والمتأخر على المتقدم..فلا يغيبن على الناظر في الكتاب هذا المعنى، فإنه من أسرار علوم التفسير".[5]

وعلية تكون هذه المراتب كما نجلّي:

1-رعي الكليات في ضوء الجزئيات (قراءة المكي في ظلّ المدني)

2-رعي الجزئيات في ضوء الكليات،(قراءة المدني في ظلّ المكي)

3-الكليات المشوبة بالجزئيات،(المكي المستثنى منه)

4-الجزئيات المشوبة بالكليات، (المدني المستثنى منه)

5-الكليّات (المكي المحض).

6-الجزئيات(المدني المحض) .

[5] الموافقات –الشاطبي –ج:4-ص:258/256

## خامسا : فائدة المكي والمدني

**01** - معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام ( التّرفق بأحوال المكلّفين).

**02** - عرضٌ لمنهاج الدّعوة الإسلامية ( التّخلية قبل التّحلية)؛ حيث يبدأ الداعية فى التركيز على جانب العقيدة، وتصفية النفوس من الخضوع لغير الله تعالى .. وتكون مادته هى «المرحلة المكية بسورها وآياتها». ثم يبدأ فى المرحلة الثانية ببيان الأوامر، والنواهى، والحلال والحرام .. وتكون مادته هى المرحلة المدنية بسورها وآياتها.

**03** - يعتبر مبحث المكي والمدني المرجع الأصيل لدراسة السيرة النبوية؛ حيث أنّ وترتيب السور ترتيبا زمنيا يمكننا من تصور تأريخ السيرة تصورا أكثر جلاء ووضوحا، في ضوء الآيات القرآنية الكريمة.

**04** - تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفا للحكم في غيرها ثم عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظرا إلى تأخر المدني عن المكي.

* * *